الفصل الأول

أضواء على البيئة

مدينة نيبون :

تقع مدينة نيبون على مسافة تسعين دقيقة بالقطار الكهربائى من طوكيو فى أرجاء سهل كانتو . وثمة فى الوقت الحاضر قطاعات ضخمة من السكان اليابانيين يعيشون فى ظروف مشابهة ، فيكونون ملاصقين للمراكز الحضارية الحديثة للصناعة والتجارة ولكنهم لا يشكلون جزءا منها . وتعد « نيبون » وقد أحيطت بحقول الأرز المغمورة بالمياه منذ حوالى ألفى عام - ملتقى المؤثرات والنظم الاقتصادية وطرائق الحياة التقليدية والحديثة فى نفس الوقت . وترتبط مدينة نيبون وما يشاكلها من مجتمعات أخرى ارتباطا مباشرا بالأنماط الاجتماعية الحضرية الحديثة التى تتسم بها المدن اليابانية الكبرى وذلك بفضل وجود نظام كفء للمواصلات العامة . على أن عملية استيعاب هذه الأنماط الحضارية الجديدة ما تزال بعيدة عن الاكتمال .

إن أية دراسة للمجتمعات المحلية اليابانية — ابتداء من أكثر مناطق طوكيو حداثة حتى أكثر القرى الجبلية تخلفا وانعزالا — عليها أن تأخذ فى اعتبارها تضافر المؤثرات التقليدية والحديثة وتأثيرها فى ضروب حياة الناس وفى أنماط المؤسسات بمجتمعاتهم . بيد أنه مع وجود كثير من أنماط الحياة جنبا إلى جنب ، فان مدى التكيف الممكن لواقع الحياة اليابانية الحديثة يمكن مشاهدته بسهولة جداً .

أما محطة السكة الحديدية لمدينة نيبون فتقع قريبا من مركز المدينة

وتواجه ميدانا عاما فسيحاً . وتستخدم ثلاث شركات للأوتوبيس . الميدان كموقف لسبعة وخمسين خطاً تتشعب من مركز سكان الحضر إلى الأماكن الريفية المحيطة التى تقع فى نطاق حدود المدينة . ويبلغ مجموع سكان مدينة نيبون ٧٠ر٠٠٠ نسمة يقطن منهم ٢٥ر٠٠٠ فى القطاع الحضرى المركزى . أما الباقون وعددهم ٤٥ر٠٠٠ نسمة فانهم يقطنون فى تجمعات صغيرة مستقرة ومتناثرة فى نطاق المدينة يفصلها عن بعضها وعن القطاع الحضرى المركزى مزرعة وأراضى غابات .

ويحتل أحد فروع متجر رئيسى من طوكيو مكون من ثلاثة طوابق أحد جوانب الميدان العام . وهناك وفقاً للنظام المتبع بطوكيو محل متخصص للطعام بالدور الأرضى ، كما أن هناك حديقة ملاهى للأطفال وبرج ملاحظة على السطح . وتحتوى فترينات العرض عادة على آخر مـــودات السيدات بالغرب .

وعلى مسافة أبعد يشاهد حول الميدان مؤسسات أصغر متنوعة منها دكانان صغيران يوفران الخدمات للدراجات العادية التجارية المتجمعة بالموقف والتى يسافر أصحابها يوميا إلى طوكيو . فمثل تلك الخدمات ليست هامشية بالمرة فى مدينة يجد عشر أفرادها العاملين العمل فى نطاق طوكيو كما أن حوالى خمسمائة طالب يتوجهون يوميا بانتظام إلى المدرسة بالمدينة . أما أولئك الأكثر ثراء ، الذين يتوجهون يوميا إلى طوكيو وكذا الزائرون فانهم يستعينون بالتاكسيات التى خصصت لها مواقف إلى جانب مواقف الدراجات . أما السيارات الخاصة فانها نادرة . وتعتبر الدراجات البخارية هى النمط المألوف لانتقال الطبقة الوسطى .

أما الأوتوبيسات فبعد مغادرتها للميدان تسلك عبر طريق المحطة Station Avenue وهو شارع طويل ملتو يزيد اتساعه عن كيلو متر .

ويمتد المركز التجارى لمدينة نيبون عبر هذا الشارع الذى انتظم فيه على كلا الجانبين تشكيلة واسعة من المقاعد الخشبية ودكاكين كبيرة وصغيرة ومتاجر كبيرة للبيع بطريقة الخدمة الذاتية وكذا المبانى المقنطرة وقصور الملاهى والبنوك والفنادق . ويستطيع الموظف ذو الياقة البيضاء والفلاح التقليدى أن يجدا ما يحتاجان إليه من سلع وخدمات فى مكان ما فى طريق المحطة أو فى شوارعه الجانبية .

وفى نهاية طريق المحطة أى بعد حوالى كيلو متر من المحطة ، يوجد المقران القديم والحديث للحكومة . وهناك مبنى مهدم ظل هيكله قائماً يتكون من طابقين يضم قاعة مدينة نيبون Nippon City Hall ومركز الإطفاء . وإلى مسافة أبعد من هذا المبنى يوجد مبنى يضم الممثلين الاقليميين لحكومة الولاية المسئولة عن الإقليم الذى تعتبر مدينة نيبون مركزاً له . وعبر الطريق يوجد مكان قلعة لورد إقطاعى وقد أحيط بخندق مائى وقلعة للطبول وما تزال بعض الحدائق موجودة هناك . ولقد استحال مكان القلعة الذى ظل مركزاً للحكومة إلى حوالى مئة عام مضت إلى متنزه جميل للمدينة به ساحات وحديقة حيوان صغيرة ، وفناء يلعب فيه الأطفال وحمام سباحة افتتح منذ وقت قريب . ويمكن أن يشاهد هناك تبعاً للموسم أزهار الكرز تحيط بحمام السباحة ، كما يمكن مشاهدة معرض سنوى لزهور الاقحوان أو مباراة مصارعة خاصة للمحترفين من الطراز الغربى .

ويوجد خلف المتنزه طريق عام قومى مرصوف رصفاً جيداً خلال المدينة على ممر مواز لطريق السكة الحديدية . وهو يضرب فى أثر طريق قديم يرجع إلى عهد ايدو EDO Period (فيما بين ١٦٠٠ و ١٨٦٨) الذى كان يستخدمه لوردات الإقطاع فى حجهم السنوى إلى ايدو التى تعرف الآن باسم طوكيو . أما الجزء من الطريق العام الذى كان يخترق يوما من خلال

مركز المدينة فقد أعيد شقه فى السنوات الحديثة لكى يمر خارج أراضى القلعة القديمة . وتؤدى درجات عالية متلاحقة إلى الهضبة على كلا الجانبين من الوادى الواسع حيث تقوم مدينة نيبون .

أما جوانب الوادى التى تشكل هضابا عالية حوالى كيلو مترين ونصف منفصلة ، فقد كانت سكنا قصيرة لبحيرة فيما قبل التاريخ كانت تغطى ذات يوم قاع الوادى ، أما قاع الوادى خارج مركز النمو الحضرى المتميز بوضوح ، فانه مغطى بحقول الأرز المغمور بالماء ، تفصلها سدود صغيرة لتقسمها إلى قطع أرض يمتلكها ويقوم بزراعتها أسر فردية .

ولا يقيم المزارعون بين الأراضى الزراعية ، بل يقيمون فى كفور buraku مستقرة يتكون كل منها من خمسة عشر بيتا أو أكثر . وهم يقومون بزراعة مجموعة من القطع الصغيرة متناثرة فى مواقع متباينة .

وعلى قمة الهضاب تشرف حقول جافة عالية ومساحات مكتظة بالغابات بينما امتدت حقول الأرز المروية عبر شواطىء الأنهار الصغيرة أو فى المناطق الوطيئة .

ونستطيع أن نخلص من الوصف السابق إلى أن كلمة « مدينة » لاتعنى نفس الشىء كما هو الحال بالولايات المتحدة . فى اليابان قسمت المساحة الكلية لكل ولاية تحقيقا لأهداف الحكم المحلى إلى قطاعات جغرافية أطلق عليها اسم shi (مدينة) و machi (بلدة) و mura (قرية) . وعلى الرغم من الترجمات الإنجليزية المستخدمة عادة فان أيا من هذه الألفاظ لاينم على الوحدات السكنية المسماة بالمدن والبلدان والقرى بأمريكا أو انجلترا . إنها فى اليابان أقسام جغرافية جزئية نظمت بحيث تقع جميع أرض الولاية فى نطاق واحد من تلك الأقسام . والفرق الأساسى فى تقسيمات الوحدات السياسية هو المجموع الكلى للسكان ، على الرغم من أنه من

المتفق عليه بوجه عام أن المدن تضم نسبة مئوية أكبر من السكان الحضريين ونسبة أعلى من السكان المشتغلين بوظائف حضرية أكثر من البلدان أو القرى . على أن غالبية المدن تضم جزءاً كبيراً من سكان الريف والمزارع ، بينما قد تضم البلدان والقرى بعض قطاعات حضرية .

وتظهر خريطة مدينة نيبون الموجودة في صدر هذا الكتاب موقع مناطق السكان الحضرية والريفية والطريق العام الرئيسي وخط السكة الحديدية وغير ذلك من ملامح جغرافية . وثمة إلى الشمال مباشرة من مركز النمو الحضري وعلى قاع الوادي توجد منطقة متاخمة للنمو الحضري مقابلة للهضبة. لقد كان المركز الحضري لبلد طوكاي فيما مضى لارتباطه بمركز النمو الحضري برابطة ضيقة من التطور الحضري عبر الطريق القديم للطريق العام القومي — مركزا منافسا للنمو التجاري الحضري . ومنه امتدت الكفور الزراعية buraku في كل اتجاه عبر الهضبة .

ويوجد شمال وغرب بلدة طوكاي التي تضم منطقة كبيرة من الأرض أكثر الأجزاء تخلخلا بالسكان من المدينة ، وهو جزء زراعي في طبيعته بالدرجة الأولى . ويوجد بين بلدة طوكاي والمركز الحضري للمدينة حقول الأرز المغمورة بالماء ومكان فسيح خاص بمصنع بالمدينة . وعلى الرغم من أن الجانب الشمالي من المدينة منطقة زراعية بالدرجة الأولى ، فإن جميع أجزاء المدينة تضم سكانا زراعيين بما في ذلك الأطراف الخارجية للمركز الحضري . وحيثما امتد النمو الحضاري إلى ما كان ماثما قبل ذلك من كفور ، فإن الأسر الزراعية وغير الزراعية دأبت غالبا على العيش جنبا إلى جنب ، جاعلة من الصعب الفصل فيما بين الأحياء الحضرية والأحياء الريفية .وكثير من الأسر تنخرط في العمل الزراعي وغير الزراعي في نفس الوقت . والنمط الشائع للأسرة هو أن يلتحق رب الأسرة بعمل يتقاضى عنه مرتبا ، بينما

تقوم الزوجة وغيرها من أفراد الأسرة على شئون المزرعة مع مساعدة الزوج خلال وقت فراغه .

ولقد أدى الضغط السكانى الهائل المتزايد فى طوكيو والذى أوصل الرقم الرسمى للسكان حديثا إلى أكثر من عشرة ملايين نسمة فى الأحياء المدنية فى طوكيو ، نقول أن هـــذا أدى إلى أن المسئولين عن التخطيط بالحكومة القومية شجعوا رسميا الخطط الرامية إلى إنشاء مدن تتابعة محيطة بطوكيو تدور فى فلكها مما ساعد على جذب الصناعات الجديدة وغيرها من منظمات . ولقد كانت مدينة نيبون واحدة من تلك المدن التابعة .

ووفقا لوصف حديث فان خطط تطور مدينة نيبون أظهرت زيادة هائلة فى النسبة المئوية للقوى العاملة المستخدمة فى الفئات الصناعية والبنائية (من ١٤ إلى ٤٠ فى المائة) بينما ظلت قوة العمل فى مجال الزراعة ثابتة . على أن النسبة المئوية للعمال الزراعيين سوف تهبط من ٢٩ إلى ١٠ فى المئة عن القوة العاملة المستخدمة وذلك بفضل الزيادة المتوقعة فى السكان إلى ثلاثة أضعاف المستوى الحالى .

وثمة جوانب أخرى من خطط التطور تذهب إلى ماهو أبعد من التطور الصناعى . وهناك خطط تأخذ مجراها لنقل جامعة خاصة من طوكيو إلى مدينة نيبون ، ولقد أقيمت بعض المنشآت لجزء من المباريات الأولمبية لعام ١٩٦٤ التى اتخذت لها مركزا بطوكيو ، كما بدىء فى إنشاء مدينة للملاهى ضخمة لجذب السائحين .

ولقد كان من الخطوات الأولى فى خطط تطوير المدينة التى بدىء فى اتخاذها البدء فى إنشاء مصنع رئيسى على الهضبة خلف بلدة طوكاى .

ومدينة نيبون هى أوسع بيئة بالمجتمع المحلى لهذه الدراسة . وهناك فى المدينة خمس مدارس متوسطة تقوم بخدمة القطاعات المختلفة بها .

وحى مدرسة نيتشو المتوسطة الواقعة فى الركن الشمالى الغربى من المدينة هو المجتمع المحلى للمناقشة الواردة فى السطور التالية . ومادام هذا الحى تابعا كوحدة سياسية واجتماعية لمدينة نيبون ، فإن الإشارة باستمرار إلى المجتمع الأوسع بعد تكون ضرورية .

حى مدرسة نيتشو المتوسطة :

يتكون حى مدرسة نيتشو من مجتمعين محليين : مدينة طوكاى الضخمة المتحضرة ، ومنطقة « يوونا » الريفية . ولقد اندمجت هاتان الوحدتان السياسيتان اللتان كانتا مستقلتين من قبل مع مدينة نيبون فى عامى ١٩٤٠ و١٩٤٧ على التوالى . وفى إبريل من عام ١٩٤٩ ارتبطتا من أجل إنشاء حى لمدرسة متوسطة . وتعتبر مدرسة نيتشو المتوسطة التنظيم الرسمى الرئيسى الذى يربط حاليا بلدة طوكاى بمنطقة « يوونا » خارج نطاق انتسابهما المشترك إلى مدينة نيبون . وللحفاظ على الكيان المستقل لكل منهما كقطاعين مستقلين بالمدينة، فقد أبقى على مكاتب البريد والتعاونيات الزراعية والمدارس الابتدائية بكل منهما مستقلة عن الأخرى .

وهناك شعور أكبر بالتضامن بين المستوطنين ببلدة طوكاى وبخاصة بين أولئك الذين يعيشون بالمركز الحضرى ، أكثر مما هو قائم بين المستوطنين بمنطقة يوونا . فسكان طوكاى يعيشون فى تقارب أوثق بعضهم إلى بعض ولديهم تاريخ أطول من العمل كوحدة سياسية واجتماعية .

ويعتبر « مزار » شينتو Shinto Shrine المركزى الذى يخدم المنطقة فى نطاق البلدة السابقة رمزا لوحدة بلدة طوكاى . ويشكل ممثلون من كل قطاع بالبلدة بوصفهم مسئولين عن تمويل وصيانة المزار جمعية الأوصياء على المزار : (Dore,1958 ص ٢٩٦ — ٢٩٧) . وأقيم فى عام ١٩٦٢ نصب تذكارى حجرى لرجال البلدة الذين قتلوا فى الحرب العالمية الثانية .

وتضمنت الأسماء المنقوشة على ظهر النصب رجالا من بلدة طوكاى، ولكن لم يذكر أحد من مقاطعة يوونا .

وليس هناك مزار شنتوى مركزى لمنطقة يوونا . ولكن يوجد هناك بدلا من ذلك عدة نصب محلية . والواقع أنه عبر كل من بلدة طوكاى ومنطقة يوونا يوجد كثير من المزارات الشنتوية الصغيرة . ينتمى بعضها إلى منطقة محددة وبعضها الآخر لا يتسم بذلك .

والفارق الرئيسى بين بلدة طوكاى ومنطقة يوونا هو اختلاف نسبة السكان العاملين بالزراعة . فمنطقة يوونا زراعية بالدرجة الأولى ، بينما تعد بلدة طوكاى مستقرا حضاريا إلى حد بعيد ينخرط مستوطنوها فى ألوان متباينة من الوظائف . وعدد الناس المشتغلين بالصناعة فى بلدة طوكاى أعلى بشكل واضح من متوسط المجموع بمدينه نيبون ، ويمكن أن يعزى هذا إلى وجود مصنع ماكينات الحياكة فى نطاق بلدة طوكاى الذى يمتلكه أحد رجال الأعمال المحليين ، وهو شخص يحس بروابطه الاجتماعية ببلدة طوكاى .

وخارج الحى التجارى بطريق المحطة توجد دكاكين المنطقة المجاورة فى الحجرات الأمامية لأصحاب البيوت ويقوم أفراد أسرة المالك بإدارة كل منها . وحتى المحال التجارية الأكبر ببلدة طوكاى هى امتدادات للشقق التى يقطنها أصحاب المبنى . وتتم إدارة المؤسسات الصناعية الصغيرة على نفس الأساس بما فى ذلك المحل الخاص بآلات تشغيل المعادن الموجودة ببلدة طوكاى والموجود بعد منزل صاحب المصنع مباشرة حيث يقوم المالك مع ابنه الأكبر بانجاز معظم العمل .

ويعيش سكان إقليم يوونا فى مجموعات كفور متناثرة على نطاق واسع ويميلون إلى تمييز أنفسهم بكفورهم . وهذا يصدق أيضاً على المقيمين

ببلدة طوكاى الذين يعيشون فى المنطقة الزراعية التى كانت واقعة تحت حكم ماتشى machi قبل الاندماج مع مدينة نيبون .

وتعترف حكومة المدينة بالكفور buraku لأسباب تتعلق بالإحصاء الرسمى للسكان . فالكفور الموجودة بحى نيتشو تضم كل منها فيما بين ٢٥ و ٤٠٠ أسرة وبينما نجد أن الكفور عبارة عن مستعمرات متجاورة من أسر ريفية فى العادة ، تشتغل كل منها عادة بالزراعة ، فإن الكفر فى ضوء التحديد الإحصائى إنما يتكون فى الغالب من مستعمرات أصغر متعددة وغير متجاورة تترابط فيما بينها فى وحدة أكبر تحقيقاً للرفاهية . ويطلق الناس الذين يعيشون فى نطاق الكفر نفس التسمية على المستعمرات الأصغر أيضا . وهذا الكفر « مجتمع محلى اجتماعى محدد القسمات بوضوح » . . . لدى سكانه إحساس قوى بالانتماء إلى مجموعتهم

(BEARDSLEY, Hall. and (ward 1959 : 4.

وفى القطاع الحضرى من بلدة طوكاى والذى يشار إليه تحت اسم طوكاى دون تدقيق ، هناك ثمانية أحياء فى ضوء التحديد الإحصائى « ku » تعمل بطرق مشابهة لما هو حادث بالكفر الريفى . وثمة اثنان من هذه الأحياء هى من جهة زراعية ومن جهة أخرى حضرية .

والأحياء التى من هذا النوع k u مرقمة ولا يشار إليها فى العادة باسم معين . وتعرف بالحى k u الأول من لوكاى ماتشى . . الخ .

ولإقليم يوونا جوانب حضرية كثيرة شأنه فى ذلك شأن الأقاليم اليابانية الريفية الأخرى . وتعيش الأسرة اليابانية الريفية ملاصقة لجيرانها فى حى يندمج بعضه فى بعض . ويعنى تكاثف سكان الريف أن كثيراً من أسباب الراحة التى تمتاز بها الحياة الحضرية يسهل انتقالها إلى المناطق الريفية فعلى سبيل المثال نجد أن بيوت يوونا قد أضيئت بالكهرباء منذ مدة طويلة

ويقوم نظام الأوتوبيس المتبع بالمدينة بالعمل فى جميع(الكفور) . وتصل وسائط الاتصال بالجماهير إلى جميع البيوت . وفى متناول كل واحد تقريبا الحصول على جهاز تليفزيون وجهاز راديو سواء فى بيته شخصياً أو فى بيت جار له . وتصل الصحف القومية مرتين يومياً وتصل إلى جميع البيوت التى لدى أصحابها الثمن البسيط المطلوب للاشتراك فيها . والواقع أن تأثير الأنماط الحضرية وقيمها ملحوظ فى كل مكان هناك .

ولقد لاحظ مؤلفو كتاب Village Japan أن هناك « اتجاها نحو تمثل الطرق الحديثة الحضرية » (Beadsley, Hall, and ward, 1959 : 95) . فى المنطقة الريفية التى اضطلعوا بدراستها . وأشاروا أيضاً إلى بعض العناصر الهامة التى تعمل على الوصل بين نمط حياة سكان المدينة الحضرية وبين طريقة حياة سكان المناطق الريفية . ولقد أدت الممارسات الزراعية المركزة التى يقوم بها المزارعون اليابانيون إلى « انضغاط السكان » وهو ما ينعكس فى كل من نمطى الحياة الريفية والحضرية . وبالمثل فان « القيمة المنخفضة التى ينظر بها للوقت البشرى » يمكن أن تشاهد فى السعر المنخفض جداً للحلاقة أو فى طول ساعات العمل الشاق المكثف الذى يبذل فى إنتاج الأرز بالريف ولربما يكون « ما هو قائم كطريقة كاملة للحياة فى المجتمع المحلى الريفى طبقة واحدة من حياة المدينة » . على حـــد رأى مؤلفى كتاب Village Japan (3 - 2 - 1959) . على أنه فى مقابل هذا فان طريقة الحياة الحضرية تترك بصماتها على الأنماط الريفية من الحياة .

بعض جوانب البناء الاجتماعى :

على مستوى المجتمع المحلى باليابان مايزال القول يصدق على أن الوحدة الاساسية للمجتمع من وجهة نظر الناس هى العائلة وليس الفرد . فأى

ما كن هناك يصف حجم الكفر الذى ينتسب إليه بعدد العائلات الموجودة به . وفى أعين الجيران ينظر إلى الشخص كعضو فى عائلة معينة أكثر من أن ينظر اليه كفرد معين بالذات .

والعائلة اليابانية التى يطلق عليها لفظ ie هى وحدة محددة من الناحية الاجتماعية راسخة الدعائم بفضل تراث طويل . وتشير كلمة ie أيضاً إلى نسب الأسرة . وهى فى مقاطعة نيتشو كما هو الحال فى معظم أجزاء اليابان تتكون فى العادة من الأصول الأبوية ومن امتداد الاسرة عبر الأسلاف المحليين . وهؤلاء الاسلاف فى سلسلة نسب الأسرة سواء كانوا على قيد الحياة أم فى طى الموت فانهم يعتبرون إلى حد بعيد جزءاً من الاسرة ie التى تستمر خلال الزمن . . . مع تغير أفرادها ولكنها تظل « كيانا » ثابتا (Dore 1958 - 95) . وبينما تضم العائلات بوجه عام الأعضاء الأحياء المنتسبين إلى سلالة أسرية واحدة ، فان بعض أعضائها قد يقيمون فى أماكن أخرى .

وفى الشكل المثالى فى ظل الوضع الزراعى ، فان العائلة ie وممتلكاتها بما فى ذلك المزرعة والمنزل تدار دفتهم كوحدة اجتماعية واقتصادية واحدة مع العمل التعاونى الذى يضطلع به الأفراد الكبار فى الاسرة . . أما وجود الاسلاف فيمثل له بلوحات تحمل اسم كل السلف الراحل فى العائلة . ويعرض فيما يشبه الخزانة الصغيرة الخاصة بالعائلة ويطلق عليها ، المذبح البوذى . ويبدأ أكبر الأولاد باعتباره وريثاً لسلسلة نسب الأسرة فى العمل مع أبيه فى الحقول بينما يواصل تعلمه النظامى بالمدرسة . وتكون زوجته وأولاده أعضاء أسرة دائمين، وتنقل زوجته رسميا من عائلتها ie بالولادة إلى عائلة زوجها لدى اقترانها به فى الزواج . وبذا فان الزوجة تتزوج فى نطاق اسرة ولا يكون زواجها مجرد إقامة علاقة معينة مع زوجها .

وعندما يقرر الجيل الاقدم المكون من الجد والجدة تسليم العمل الشاق والرئاسة المتعلقة بعائلتهما إلى أكبر أبنائهما أو إلى الخلف ، فانهما يعتزلان وينتقلان إلى بيت للتقاعد أو إلى جناح مجاور تماما للخلف . بيد أن مطبخ الاسرة وحمامها يظلان فى الغالب متسعين لهما . وقد يظل جيلان من أجيال الاسرة الكبار لفترات طويلة من الزمن يعيشان ويعملان بعضهمامع بعض فى جميع شئون الأسرة .

وقد يظل الأبناء غير المتزوجين للآباء الكبار جزءاً متكاملا من العائلة ومن حياتها . أما البنات الناضجات فانهن يتزوجن إن أمكن خارج نطاق العائلة ويدخلن أسر أزواجهن . أما الأبناء التوالى للأبناء الكبار بما فى ذلك جميع الأبناء باستثناء أكبرهم فلديهم فرص متعددة . فهم قديتزوجون فى نطاق العائلة التى ليس لديها ابن لكى يستمروا بسلسلة نسب الأسرة . وفى تلك الحالة يكونون أزواجا بالتبنى Adopted Husbands ويتخذون أسماء زوجاتهم ويصيرون فى حالات كثيرة أكبر الأبناء لعائلاتهم الجديدة . وهناك وضع بديل لهذا هو أن تعمد العائلة الثرية بدرجة كافية إلى أن يكون الابن الثانى وزوجته فرعاً جديداً للعائلة bunke وهما يشاركان فى هذه الحالة فى مزرعة الأسرة ويتخذان لنفسهما بيتاً جديداً . وبهذه الطريقة تولد عائلة جديدة على الرغم من أنها تحمل علاقة مباشرة بالبيت الرئيسى bonke الذى انبثقت عنه . ويمكن أن تنشأ هذه الأسرة bunke أيضاً بالنسبة لإحدى البنات وزوجها وفى هذه الحالة يضم الزوج إلى الأسرة ويحمل اسمها ولكنه لا يصبح وريثاً لسلسلة نسب الأسرة ie . وثمة احتمال ثالث بالنسبة للأبناء التوالى غير الوارثين . . وهو من أكثر الممارسات شيوعا فى مقاطعة نيتشو — هو تعيينهم فى وظيفة حضرية جديدة . وينظر إلى التعليم ذى المستوى الأعلى بوجه عام باعتباره طريقاً مرغوباً فيه لإلحاق

مثل هؤلاء الأبناء فى وظيفة جديدة ، ولكن حتى هؤلاء الذين لا يستمرون إلى ما هو بعد التعليم الإجبارى يمكن أن يحصلوا بسهولة على وظائف بالمدينة . ولقد زاد الطلب على خريجى المدرسة المتوسطة من جانب مختلف أصحاب الأعمال ٢٫٧ مرة من عدد الأطفال الذين كانوا مطلوبين فى عام ١٩٦٢ (Japan Times, Sept. 17, 1962) . وإذا لم يواصلوا التعليم بعد التخرج فى المدرسة المتوسطة ، فإن كلا من البنات والأولاد على السواء يبحثون عن عمل فى مدينة نيبون أو فى طوكيو أو فى غيرهما .

وكقاعدة عامة فان الأبناء التوالى يتركون مسقط رءوسهم باحثين عن الصناعة والتجارة بطوكيو التى ظلت تستوعب الفائض من سكان سهل كانتو خلال قرن التطور الحديث . وبذا فانهم يقيمون عائلة جديدة . فى مدينة نيبون بالقرب من طوكيو يمكن أن يعطى لمثل هؤلاء الأبناء بيت فى المجتمع المحلى لكى يقيموا أسرة جديدة bunke بدون مزرعة . أما البنات اللائى يذهبن إلى العمل فانهن يرجعن إلى بيوتهن بعد سنوات قليلة للاستعداد للزواج .

وثمة اهتمام عام لدى الأسرة القروية اليابانية هو الاستمرار المتواصل للعائلة ie . وبالنسبة للأسر الريفية الموسرة فان هذا لا يكون من الصعوبة بمكان لأن الأزواج بدون أطفال ويستطيعون تبنى الأطفال الذين يطلق عليهم فى هذه الحالة اسم atotsugi (أى الذين يستمرون بنسب الأسرة) . أما بالنسبة للأسر الفقيرة التى ترهقها الضرائب بحيث لا يستطيعون الإنفاق على الزوجين والأطفال فى نطاق الأسرة ، فان مشكلة استمرار الأسرة تكون مشكلة ميئوساً منها ولا تقبل الحل . وفى كثير من الحالات تكون النتيجة الحتمية هى إرسال أكبر الأبناء بالتبنى للعمل بالمدينة مع إفهامهم بأنه سوف يعود إلى المزرعة عندما يكون والداه مستعدين للاعتزال أو اتباع

نظام الزراعة القائم على جماعة النساء ونهاية الأسبوع (Dore 1959: 276) وفى هذه الحالة الأخيرة يكون لرأس العائلة عمل يتقاضى عنه راتباً ويترك إدارة المزرعة لزوجته على الرغم من أنه يساعد فى العمل المضنى فى عطلات نهاية الأسبوع .

ولما كانت العائلة ie تعتبر أيضاً نظاماً للضمان الاجتماعى بالنسبة لأفراد الأسرة الكبار ، فان استمرار العائلة ie له أهمية حيوية بالنسبة للأجيال من الآباء والأجداد . وينعكس هذا الاهتمام فى الطرق المتبعة فى تربية الأطفال . والزوار الأجانب وعلى الأقل أولئك الذين تسنى لهم الوقوف على ملاحظة طويلة ومباشرة لا يجدون بدأ من التعليق على تساهل الأسر ونسائها مع أبنائها ، فالعقوبة البدنية من أى نوع نادرة إلى حد بعيد. وتكافح الأسرة بكاملها لكى تضفى العاطفة على الطفل . والواقع أن الصبر والاحتمال يعتبران خصيصتين ملحوظتين لدى الأم اليابانية العادية . وهناك اهتمام مستمر بمشاعر الفرد يتجلى خلال المناشط الاجتماعية الكثيرة للعائلة كما يتجلى فى المناشط الاجتماعية بالمجتمع الكبير ، فالأم أو الجدة التى تحاول إقناع ولد صغير بالعزوف عن عمل تخريبى أو خطر تقول له عادة « إنك ولد طيب (oriko) » ولا تسمع هناك على الإطلاق هذه الجملة « إنك ولد شرير » أو « الأولاد الأشرار يعملون ذلك » ، بل تسمع « الأولاد الأخيار لا يفعلون ذلك » .

وبينما تبدأ عادات قضاء الحاجة فى وقت مبكر ، فإنها لا تعلم بالعنف وتظهر فى الإمساك بالطفل الصغير وإخراجه من الشرفة عندما تتوقع الأم أنه موشك على قضائها . لقد انتاب الذعر زوجة مؤلف هذا الكتاب عندما شاهدت ابنها وكان قد بلغ ستة أشهر وقد أمسكت به على هذا النحو على طرف الشرفة السيدة العجوز التى كانت تساعدنا فى العناية بالطفل . النقطة

المهمة هى أنه لم يكن هناك عنف .

ويستمر الاهتمام بمشاعر الشخص (Kimochi) حتى مستوى الكبار ، لقد كان الموضوع الأول فى الحديث فى معظم حفلات الشرب التى حضرها المؤلف كان « كيف حالك ؟ » . لقد كان ذلك السؤال يوجه مباشرة بعد تناول الكميتين الصغيرتين جداً من مشروب «الساكى» Sake . أما تفسير هذا السؤال فهو أن الهدف من هذه الحفلات إنما هو إنماء المشاعر الطيبة بين المشتركين فيها . والواقع أنها كانت وسيلة فعالة للغاية لتحقيق هذا الهدف إذ أن الأنماط الاجتماعية للسكر التى تتأتى عن تناول كمية قليلة جداً من الكحول فى الواقع قد تضمنت البهجة بغير عدوان أو احتكاك .

ولقد عمدت الأسرة اليابانية من خلال مجموعة من الممارسات إلى التقليل من الخلافات التى قد تنشأ بين الأجيال إلى مستوى محتمل وقد غرست الولاء للعائلة ie بحيث تقوم كثير من العائلات كوحدات اجتماعية متعاونة مع ثلاثة أو حتى أربعة أجيال مندرجة فى تكوينها .

لقد تركز الوصف السابق للعائلة على النمط النموذجى للعائلة فى الوضع بالريف . والواقع أن القيم الريفية قد امتدت إلى المجتمع الحضرى . فالأبناء الأكبر ينخرطون فى أعمال آبائهم أو تجارتهم أو يضطلعون بها بنفس الطريقة التى يندرج بها الشباب القروى فى مجال الزراعة . وحتى الابن المتحضر الذى يعمل فى شركة بمرتب قد يستمر فى حياته بالأسرة على الرغم من أنه يعمل عادة لشركة مستقلة .

ولقد أثرت المستحدثات التى تأتت بعد الحرب فى الأعمال التى يضطلع بها نظام الأسرة التى ما تزال على الرغم من ذلك مرموقة كمثل أعلى وبخاصة فى الريف . ولقد قضت برامج الإصلاح الزراعى للاحتلال الأمريكى بأن أحداً لا يستطيع امتلاك أرض أكثر مما كان يقوم بإفلاحه مع عائلته .

ولقد عمل هذا على التقليل من أصحاب الأرض والانخفاض بمستواهم إلى إلى المستوى الاقتصادى للمزارعين العاملين . ولقد عملت التجديدات فى أساليب الزراعة وبخاصة إدخال المواد الكيميائية المبيدة للحشائش الضارة والاستخدام واسع النطاق للأسمدة الكيميائية وإدخال الآلات فى النمط الزراعى الصغير المدى باليابان على التقليل بشكل واضح من ساعات العمل المطلوبة للنهوض بأمر مزرعة الأسرة . ولقد نشأ عن هذا التطور الأخير تسهيل نظام الزراعة القائم على « نهاية الأسبوع وجماعة النساء فى القرية » .

ويستطيع الأفراد الكبار بالأسرة وهم فى العادة الشبان الذين تلقوا تعليما أكثر مما تلقاه آباؤهم أن يحصلوا على وظيفة طول الوقت فى طوكيو أو غيرها ، ويظلون محتفظين بمزرعة وناهضين بأعبائها . ولم يعد الأبناء الأبكار مضطرين إلى اعتبار الفلاحة الوظيفة الأساسية فى حياتهم . والواقع أن من الملاحظات العامة التى قدمها المسئولون عن المدرسة المتوسطة فى سهل كانتو بكامله هو أن الأبناء الابكار لم يعودوا يختلفون عن الأبناء التوالى فى رغبتهم فى الاستمرار فى تعلمهم إلى ما بعد المستوى الإلزامى حتى التعليم الثانوى ، ويرغب الجميع فى الإندراج بالتعليم الثانوى كطريق مفضل إلى وظائف أفضل من الناحية الاقتصادية بغض النظر عن مسئوليات الشخص ناحية الأسرة Atotsugi . فمن الممكن الحصول على حياة أفضل فى نطاق الوفاء بمسئوليات الشخص تجاه استمرار العائلة ie .

ولقد عملت التغيرات التى حدثت فى النظام التشريعى على القضاء على الدعائم التشريعية لنظام الأسرة التقليدى ، وبخاصة فى المطالبة بأن يوزع الإرث بين جميع الأطفال . وعلى الرغم من أن القانون لا ينص على توزيع الأرض الزراعية المملوكة ، فإن هناك اهتماما متزايداً بحقوق الأبناء الذين لا يرثون . ومن الناحية العملية فمن المستحيل تقسيم أرض مملوكة وتوزيع

بيت وهما لا يكفيان إلا بالكاد لإعالة أسرة ابن واحد . وينظر إلى سد نفقات تعليم الابناء التوالى فى التعليم الأعلى على أنه يشكل بديلا للارث مما يعطى مثل هؤلاء الأبناء القدرة على إلحاق أنفسهم بوظيفة جديدة بنفس الطريقة تقريباً التى ينخرط بها الابن الأكبر فى الزراعة . وكثيراً ما يحدث بالنسبة للابن الثانى أن يرث مزرعة الأسرة عن طريق عزوف الابن الأول عن الاستمرار بنسب الأسرة ومهنتها .

إن أقل مستوى من التنظيم السياسى الرسمى الذى يدلى فيه الناس بأصواتهم لانتخاب ممثلين عنهم وانتخاب موظف إدارى هو (مدينة) Shi و (البلدة) Machi و (القرية) Mura . وليست هناك أحياء انتخابية فى نطاق مثل هذه الوحدة ، بحيث ينتخب أعضاء جمعية المدينة والبلدة أو القرية على نطاق واسع . ومن الناحية العملية هناك فى مكان كمدينة نيبون قدر كبير من التنظيم السياسى المبدئى غير الرسمى حيث تتفق الماتشى (بلدة) وموورا (قرية) وهى مناطق مستقلة رسمياً على نائب أو النواب الذين يجدون تأييداً من جانبها ويكون لديهم أصوات كافية لانتخابهم .

وعلى الرغم من السيطرة الصورية والرسمية لحكومة المدينة ، فإن هناك تنظيما منسقاً لحكومة البوراكو — كو Buraku - Ku غير الرسمية . وتقوم حكومة المدينة بالتعامل مع هذه الوحدات . أما رئيس القطاع المنتخب محلياً (Kucho) ومجلسه فإنه يساعد فى التوسط بين المقيمين المحليين وبين حكومة المدينة . وفى انتخاب مثل هؤلاء الموظفين تلعب التقاليد غير الرسمية دورا أكثر أهمية من الدور الذى يلعبه البناء السياسى الذى أعلن رسمياً بعد الحرب .

ويشكل الرجال المحليون ذوو النفوذ (yuryokusha) المجالس المحلية أو يرتبون لانتخاب الناس الذين يتولون النهوض بمصالح المجتمع المحلى

(Ike 1957 : 75) . وهؤلاء هم نفس الناس الذين يندرجون فى انتخابات نواب المقاطعة لمجلس المدينة . وكثير من تلك الشخصيات صاحبة النفوذ (yuryo Kusha) فى مقاطعة نيتشو كان لهم ارتباطات بأصحاب الأراضى فيما قبل الحرب . ولقد يبدو أن وجود إرتباطات بإحدى الأسر البارزة الراسخة القدم منذ ماقبل الحرب بالمقاطعة أو بالمناطق المجاورة أمر ضرورى للحصول على مثل تلك المكانة . وكان هناك شاب فى حوالى الواحدة والأربعين من إحدى المزارع القروية البعيدة جداً من الشخصيات ذات النفوذ yuryokusha باقليم لوونا وذلك لأنه كان رئيس العائلة ie التى كان بيدها أوسع الأراضى الزراعية بالمنطقة قبل الإصلاح الزراعى الذى أدخله الاحتلال الأمريكى . وبعد تخرجه فى مدرسة للتدريب على التجارة البحرية قبل الحرب ، دعى إلى قريته بعد الحرب لكى يرأس عائلة من أقاربه ليس لديها أطفال . وحيث أنه كان حديثاً فى تعلمه وفى تنوره ، فان مكانة اسرته قد وضعته فى مكان السلطة على الرغم من أن ثروات أسرته قد تقلصت إلى حد بعيد نتيجة برنامج الإصلاح الزراعى . فلولا ذلك لكان وزوجته الآن زراعا لطول الوقت .

وثمة شخصية أخرى ذات نفوذ تحتل مكانة مرموقة فى الوظائف المحلية لمقاطعة نيتشوكان من السلالة المباشرة للأسرة التى وضعت مبدأ « الاحتفاظ » للورد Lord قلعة مدينة نيبون فى الأزمنة السابقة على الوقت الحديث .

وثمة زعيم للشخصيات البارزة فى مقاطعة نيتشوكان الابن الثانى لأسرة أحد أصحاب الأراضى الذى لم ينجح رسمياً لكى يصير رئيسا لتلك الأسرة ولم ينل اكثر من مكانة منخفضة من التعليم بمدرسة خاصة متوسطة قبل الحرب . ولقد صار أحد رجال الأعمال وقد بدأ أعماله وطورها ، أعنى

مصنع ماكينات الحياكة ، وذلك بفضل شهرته المحلية علما بأنه واحد من أولئك الذين مولوا الحملة الانتخابية للعمدة . وهـــو يمتلك فى الوقت الحاضر مصانع متعددة فى اجزاء مختلفة باليابان ، ولقد وصفه واحد من المدرسين المحليين الذين ظـــلوا يعملون هناك لمدة طويلة بأنه رجل « لم يكن يحب السياسة » فهو لم يسع إلى الحصول على منصب سياسى ولم يتول أحد هذه المناصب . ولكنه كان رئيساً للغرفة التجارية والصناعية بمدينة نيبون ونائباً لرئيس مجلس منظمة بنفس الاسم ورئيساً لمجلس الأمناء على المزار القائم ببلدة طوكاى ، ورئيساً لمجلس الآباء والمعلمين بمدرسة نيتشو المتوسطة لمدة ثلاثين عاما ، ورئيساً لمجلس الآباء والمعلمين لأحسن المدارس مكانة وهى مدرسة اتشيكو الثانوية ، كما أنه الرجل الذى يرجح بالدرجة الأولى تعيينه رئيساً لأية منظمة جديدة تشكل فى مقاطعة نيتشو . ولقد انتخبته المنظمتان الجديدتان المشكلتان فى عام ١٩٦٢ كرئيس لكل منهما . وكانت أحداهما جماعة ناد للهواة تشكلت لمساعدة أحد أولاد أقليم يوونا المحلى الذى أبلى بلاء حسنا كلاعب محترف فى كرة « الباسبول » فى فريق قومى بارز . أما المنظمة الأخرى فقد أقيمت لكى تناقش المشكلات المتعلقة بتشرد الأحداث وتقدم الحلول المحلية لها .

ومع أنه قد يكون رئيساً بالاسم فقط لبعض منظماته فإنه يظهر فى المناسبات الاحتفالية أو العامة ممثلا لتلك المنظمات ، وواضح أنه كان يتمتع بمظاهر المكانة الرفيعة التى خولتها له وظائفه المتفرقة . وليس من قبيل التمثيل للزعامة التقليدية فى منطقة فيها الزعامة فى العادة رزينة وبعيدة عن الأضواء ، أن هذا الرجل كان ولدا تربى فى المدينة وله ارتباطات عائلية طيبة وقد شق طريقه بنجاح فى عالم الأعمال . وعلى الرغم من أن أعماله قد امتدت إلى أجزاء كبيرة فى وطنه ، فلقد اثبت فى زعامته للمنظمات المحلية أنه قد أرسى

منجزاته وحقق متعته . ولقد استخدم جزءاً كبيراً من ثروته — وهو الحائز على ثروة هائلة . فى المساهمة فى المشروعات المحلية وليس فى الاستهلاك الشخصى المنافى للذوق الاجتماعى . ولما كان هذا الرجل متشدداً فى تأكيده للبساطة الأسرية فانه لم يعمد إلى توفير خادمة لزوجته لمساعدتها فى شغل البيت وهو بيت بسيط . ولقد أسهم بمبالغ طائلة منها خمسة ملايين ين (١٤٫٠٠٠ دولار) لإنشاء مبنى للألعاب الرياضية لإحدى المدارس المتوسطة الجديدة التى تعاقدت شركته مع المدينة على إنشائها ، كما أنه قدم نفس القدر من المال لترميم مدرسة طوكاى الأولية ، كما قدم مبلغاً أقل لبناء مدرسة ثانوية صناعية جديدة فى مقاطعة نيتشو ، وقدم مبلغاً اكبر كاعتماد مالى لمنحة تستخدم لتشجيع طلاب المدرسة الثانوية الصناعية فى جميع المناطق التى أقيمت بها مصانعه .

ويبدو أن الخصائص العامة اللازمة للرجل ذى النفوذ ynryoknsha حتى يستطيع أن يحصل على المكانة المرموقة هى (١) توافر ارتباطات عائلية محلية طيبة . (٢) توافر علاقة بأصحاب النفوذ ممن كانوا أصحاب الأراضى قبل الحرب فى المناطق الريفية . (٣) النجاح فى التجارة وفى العلاقات الاجتماعية (٤) السن (٥) القدرة . على أنه ليس ضروريا توافر جميع هذه المؤهلات ، ولكن كلما تضافرت بعضها مع بعض كلما كان هناك فرصة أكبر لاحراز امتياز ومكانة اجتماعية افضل .

وثمة شكل أكثر حداثة من القيادة المحلية ومن الاقتراب من زمرة أصحاب النفوذ ynryokusha يتم من خلال التعليم ومن خلال المكانة الوظيفية . ويتبدى هذا فى الطبيب الذى يعيش ويمارس الطب فى كفر Burakn نامى Nami الشرقى (يوونا) . وعلى الرغم من الحياة المنهكة للطبيب العام مع المرضى الذين يقبلون عليه فى كل ساعة ، فإن هذا الرجل

يحتال للأمر بحيث يجد الوقت لكى يكون إيجابيا فى كثير من مواقف التأثير المحلى . فهو رئيس مجلس الآباء والمعلمين بالمدرسة الأولية وهو واحد من منظمى الجمعية الجديدة التى اقيمت لدعم بطل الباسبول المحلى ، ونائب رئيس جمعية الآباء والمعلمين بنيتشو . وهذه بعض من كثير من الوظائف الاجتماعية التى ينهض بها .

وإلى جانب أولئك الأشخاص من أصحاب النفوذ الذين يمسكون بزمام مراكز رسمية ممتازة من الناحية الشعبية ، فإن هناك آخرين يحس بتأثيرهم خلف الكواليس . وتنطبق نفس المؤهلات المطلوبة للمكانة التى يحظى بها الـ yuryokusha التى ذكرناها آنفا على أولئك الرجال ، ولكن من الصعب على الباحث الأجنبى الذى له ارتباطه بالمدرسة المتوسطة أن يعرفهم . على أنه لا يصح أن نعتبر أولئك الذين يحظون بالمراكز الرفيعة yuryokusha مجرد « رجال فى المقدمة » فالواقع أن كلا النوعين من القادة يمسك بزمام السلطة السياسية المحلية والسلطة الاجتماعية .

ومن الجدير بالملاحظة تحقيقا لأهداف المقارنة أن الباحثين اليابانيين فى جنوبى اليابان الذين أولوا اهتمامهم إلى دراسة العلاقة بين السلطة السياسية المحلية وبين المنظمات التربوية فى المنطقة الريفية وجدوا أن أوضاع القيادة فى منظمات المجتمع المحلى اعتبرت بل كانت فى الواقع سلما للوصول إلى الوظائف السياسية الرسمية كعضوية الجمعية الانتخابية أو التعيين فى عضوية مجلس التعليم . (yano 1961 .

على أن مدرسة نيتشو المتوسطة ليست مجرد مؤسسة للمجتمع المحلى بل إنها أيضاً جزء من نظام مدرسى رسمى يرتبط برمته بالمدارس الأخرى بعدد من حلقات الاتصال الهامة . وفى الفصل التالى سوف نستكشف هذه الحلقات التى تربطه بالنظام المدرسى مع التأكيد على التطور التاريخى والأساليب التى على أساسها يوجه أطفال مدينة نيبون خلال النظام التعليمى .